

رَبَاعِيَّاتُ الْإِمَامِ الْبُخَّارِيِّ

لِلْأَسَازِ يَوْسُفَ الْكُتَيْبَانِي

اعتنى أهل الحديث بتخريج عواليهم وتباروا في الوصول المسمى
ارفعها درجة واسناها ، طلبا للاسناد العالي ورغبة في القرب من الرسول
صلى الله عليه وسلم .

ذلك لان علو الاسناد طريقة مرغوب فيها ونهج كان السلف يتزاحمون
على سلوكه .

وعد كان اصحاب ابن مسعود يرحلون من الكوفة الى المدينة فيتعلمون
من عمر بن الخطاب رضي الله عنه ويسمعون منه حتى قال الطوسي (1) .
«قرب الاسناد قربة الى الله تعالى» . ولجل ذلك اجمع ائمة الحديث
على طلب الرحلة في سبيل علو الاسناد ليتحقق المعنى المقصود من الرواية
وهو صحة المروي وذلك لا يتم الا بالاسناد العالي .

كذلك فان علو السند يبعد الاسناد من الخلل قال ابن الصلاح :
«والعلو يبعد الاسناد من الخلل لان كل واحد من رجاله يحتمل ان يقع
الخلل من جهته سهوا او عمدا ففي قلقتهم قلة جهات الخلل وفي كثرتهم
كثرة جهات الخلل وهذا اجلى واصح (2) . لذلك قام المحدثون بتخريج
عواليهم فخرجوا الثلاثيات ، ثم الرباعيات ثم الخماسيات ، ثم السداسيات

(1) الفية السيوطي شرح محمد محسي الدين عبد الحميد ص 260 .

(2) المصدر نفسه ص 260 .

ثم السبعيات ، ثم الثمانيات ، وكل ذلك تم قبل نهاية القرن السابع الهجري ، ثم خرجوا فيما بعد التسعيات والعشاريات كما اورد السيوطي في كتابه (النادرية من العشاريات) (3) . على اننا نجد عند المحدثين عوالي اخرى اعلى مما سبق من الثلاثيات وغيرها فهناك الوجدانيات والثنائيات (4) .

وقد افرد اهل الحديث عواليهم منذ الاول بكتب جمعتها وحفظها منذ المهود الاولى للمحدثين والرواة نورد بعض هذه الكتب تأكيدا واستشهادا على اهتمامهم باسانيدهم العالية .

نجد في الوجدانيات كتاب «الوجدانيات» (5) . لابي حنيفة الامام وقد جمعها ابو معشر عبد الكريم بن عبد الصمد الطبري المقرئ الشافعي في جزء ومن الثنائيات : الثنائيات للامام مالك في الموطا وهي اعلى ما عنده . ومنها ثنائيات مالك للقصار :

ونجد من الثلاثيات :

ثلاثيات البخاري : وهي اثنان وعشرون ثلاثية جمعها الحافظ ابن حجر و «تخريج ثلاثيات البخاري» للشيخ عبد الحي الكتاني (6) وكتاب ثلاثيات البخاري «لشاه ولي الله الدهلوي الهندي» . ومنها «ثلاثيات البخاري» للبرهان ابراهيم الكوراني في جزء صغير (7) .
والرباعيات لابي عبد الله البخاري : وقد شرحها (بعضهم) في كتاب سماه (درر الدراري في رباعيات البخاري) (8) .

(3) فهرس الفهارس للكتاني ج 2 ص = 95 .

(4) الرسالة المستطرفة للحافظ محمد بن جعفر الكتاني ص 97 .

(5) الرسالة المستطرفة ص 97 .

(6) فهرس الفهارس ج = 1 ص = 19 و 20 .

(7) فهرس الفهارس ج = 2 ص 23 .

(8) نسب هذا الكتاب صاحب كشف الظنون لاجد بن محمد الشامي ج = 1 ص

الخماسيات لمسند العراق ابي الحسين البزار كما توجد خماسيات الدارقطني في مسنده .

والسداسيات لابي عبد الله بن احمد الرازي المعروف (بابن الخطاب) وهي من تخريج ابي طاهر السلفي .

وسداسيات التابعين لابي موسى محمد بن عمر المديني الاصبهاني المتوفي سنة 581 هـ (9) .

وسباعيات ابن العربي (10) : والسباعيات لابي القاسم ابن عساكر، والسباعيات لابي جعفر الصيدلاني .

والسباعيات لابي الفرج النجيب عبد اللطيف بن عبد المنعم ابن الصيقل (الحراشي) الحنبلي المتوفي سنة 672 هـ وهو من تخريج الحافظ عز الدين احمد بن محمد الحسيني .

ومنها «بغية الملقم» في سباعيات الامام مالك بن انس» للحافظ صلاح الدين كيكليدي ، وهو في ستة اجزاء اخرجها من كتاب الموطا (11) .

وكتاب الثمانيات للحافظ عز الدين الحسيني وهو في اربعة اجزاء .

ومنها «تحفة المستفيد في الاحاديث الثمانية الاسانيد» وهو لابي الحسين يحيى بن علي العطار (12) .

وكتاب التساعيات لرضي الدين ابراهيم بن محمد الطبري المكي المتوفي سنة 722 هـ . والاربعون لعز الدين ابي عمر عبد العزيز بن جماعة الكتاني الشافعي وهي من تخريج ابي جعفر محمد بن عبد اللطيف بن الكويك الربيعي وتبلغ اربعين حديثا .

(9) الرسالة المستطرفة ص 99 و 100 .

(10) فهرس الفهارس ج 2 = ص 382 .

(11) المصدر السابق ج 1 ص 183 .

(12) الرسالة المستطرفة ص 100 .

«وكتاب الأربعين العشاريات الاسناد» للحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقي (13) والعشاريات للترمذي والنسائي وكتاب الأربعين عشاريا للحافظ محمد بن جابر الودياشي والعشاريات للحافظ ابن حجر و«عشاريات الشيوخ للحافظ السخاوي (14) .

و «النادرية من العشاريات» للحافظ جلال الدين السيوطي جمع فيه ما وقع له عشاريا وهو ثلاثة احاديث : الى غير ذلك من الكتب الخالدة التي حفلت بها المكتبة الاسلامية والتي ضمت عوالي المحدثين .

ولما كان علو السند طريقا مرغوبا فيها عند المحدثين فقد كان السلف يتزاحمون ويتسابقون على نهجه وسبيلهم الى ذلك كثرة الرحلة والسفر طلبا للسند العالي لانه يحقق الغرض من الرواية .

وقد اكثر الامام البخاري الترحال الى الامصار والاقاليم واطال السفر الى الحواضر الاسلامية طلبا لعالي الاسناد ورغبة فيه وتحقيقا للمقصد الاسمي منه . قال الحافظ المزي (15) .

و «اكثر الحاكم من عد شيوخه (اي البخاري) وذكر البلاد التي دخلها ثم قال : «وانما سميت من كل ناحية جماعة من المتقدمين ليستدل على عالي اسناده . فان مسلم بن الحجاج لم يدرك احدا ممن سميتهم الا أهل نيسابور» .

ولذلك اجهد الامام البخاري نفسه وكان يقطع المراحل ويقصد الاقاليم مهما نات من اجل رواية حديث واحد او حديثين طلبا لسند عال قل رواته ورجاله وكان شديد القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم (16) .
واذا كان للامام البخاري فضل الريادة في علم الحديث باعتباره اول من صنف صحيح الحديث مجردا حتى اعتبر كتابه الجامع الصحيح اصح

(13) فهرس الفهارس ج 2 ص 249 .

(14) الرسالة المستطرفة ص 101 وفهرس الفهارس ج 2 ص 250 .

(15) طبقات الشافعية للسبكي ج 2 ص 2 .

(16) قواعد التحديث للقاسمي ص 108 علوم الحديث صبحي الصالح ص 236 .

كتاب يعد كتاب الله ولقب بأمر المؤمنين في الحديث (17) واعتبره مسلم «استاذ الاستاذين وطبيب الحديث في علله» كما اعتبر الترمذي الامام البخاري أعلم أهل عصره بمعرفة الاسانيد والعلل والتاريخ قال :

«لم أر بالعراق ولا بخراسان في معرفة العلل والتاريخ ومعرفة الاسانيد أعلم من محمد بن اسماعيل البخاري» .

لذلك جاء كتابه (الجامع الصحيح) نموذجا لكتب الحديث منذ الف في الصحيح وظل من اجل ذلك قبلة العلماء والمحدثين سواء في طريقته او الاسلوب الذي نهجه البخاري في جمعه وتأليفه وانتقاء الحديث الصحيح خاصة وانه خرج جامعه من ستمائة الف حديث مما صح عنده على شروطه وهو مالم يتعد سبعة آلاف حديث ونيف مما ورد في الصحيح ثم طول اناته في مدة تأليفه وبجته الطويل الذي استمر ستة عشر عاما ، وفي طريقة اخذه للحديث وروايته عن الشيوخ الذين بلغوا الفا وثمانين نفسا ثم الى تعدد الامصار والاقاليم التي رحل اليها وقصدها من اجل رواية الحديث فانه لم يكتب في الجامع كل ماسمعه أو رواه ، كما لم يصح عنده كل ما رواه من الشيوخ بل كان يعمل عقله ونهجه وطريقته فيما يأخذ ويسري ويتثبت ويتحرى قبل ان يكتب في الصحيح (18) ، ومن حيث طريقته في التحديث امتاز البخاري بالبحث الدقيق عن الرواة الذين يأخذ عنهم ويسمع منهم وذلك من اجل معرفة منازلهم الفكرية واهوائهم السيامية وسيرتهم الخلفية .

كما كان يهتم اعتماما بالغا بالبحث عن كيفية اتصال الراوي بشيخه في الحديث والبحث عن متن الحديث وهل هو موافق للسنة ومسا رواه الثقات مما جعل طريقة البحث عند البخاري والوسائل التي اتبعها والمنهج الذي التزمه منهجا علميا ومقياسا دقيقا لم يسبق اليه ولم يلحق فيه وحتى كان ابو الحسن المديسي يقول في الرجل الذي يخرج عنه البخاري فسي

(17) حياة البخاري للقاسمي ص 11 .

(18) طبقات الشافعية ج 2 ص =

الصحيح «هذا جاز القنطرة» (19) .

من أجل ذلك كله لا يوجد كتاب في الإسلام بعد كتاب الله العزيز
اهتم به المسلمون اهتمامهم بالجامع الصحيح حفظا ودراسة وتعليقا
وشرحا واستدراكا وترجمة الى غير ذلك من مظاهر العناية بكتاب الصحيح
وقد آثرت ان اشارك العلماء وأهل الحديث اهتمامهم وعنايتهم
بكتاب الجامع الصحيح وأطلي بدلوي فيه واربط نشاطي بنشاطهم وبحثي
ببحثهم في مجال اكتشاف اوجه عبقرية هذا الرائد العظيم في كتابه الخالد
الجامع واخترت ان ادرس موضوعا يتعلق برجال اسناده كما يتعلق بمتون
احاديثه سواء في اسانيده الرباعية او متونه الرباعية وهو موضوع مبتكر
جديد ندر من الف فيه او بحث عنه من المحدثين والعلماء ، وقد قسمت هذا
البحث الى ثلاثة اقسام :

- (1) رباعيات البخاري في السند اي في رواية الحديث او الاسانيد الرباعية.
- (2) رباعيات البخاري في المتن او المتون الرباعية .
- (3) رباعيات البخاري في وصيته .

رباعيات البخاري في السند :

المقصود برباعيات الامام البخاري في السند اي في رواية الحديث
او مانسميه الاسانيد الرباعية ، هي الاحاديث التي تكون اسانيدھا رباعية،
اي ان يكون بين البخاري اي قوله ، وبين حديث النبي صلى الله عليه
وسلم أربعة رواة . أو هو ما اتصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الحديث بأربعة رواة .

وذلك بان يروي الحديث أربعة من الصحابة او التابعين بعضهم عن
بعض في سند لثن واحد .

مثاله حديث البخاري (20) في «كتاب الايمان» من باب : «دعواكم

(19) الامام البخاري محدثا وفيه للدكتور الحسيني ص 14

(20) الحديث السابع من الجامع الصحيح ج = 1 ص 77 شرح الكرماني .

ايما نكم» .

حدثنا عبيد الله بن موسى (1) قال : اخبرنا جندلة بن ابي سفيان (2) عن عكرمة بن خالد (3) عن ابن عمر (4) رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«بني الاسلام على خمس ، شهادة ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة والحج وصوم رمضان» . 1
وكحديث البخاري (21) في «كتاب الايمان» باب «علامة الايمان حسب الانصار» .

حدثنا ابو الوالد (1) قال حدثنا شعبة (2) قال اخبرني عبد الله بن جبر (3) قال سمعت انس (4) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : آية الايمان حب الانصار وآية النفاق بغض الانصار .

فهذان الحديثان الواردان في صحيح الامام البخاري رواهما اربعة رجال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون بين البخاري وبين النبي صلى الله عليه وسلم رواية اربعة :

واذا كان اطول اسانيد البخاري التساعيات فان اعلى ما للبخاري في صحيحه الثلاثيات كما ذكر محمد ابن عبد الرحمان الكزيري (22) .

اما ثلاثيات البخاري فقد درسها أهل الحديث واهتموا بها والفسوا فيها وجمعوها واشهر من قام بذلك الحافظ ابن حجر كما اشرنا سابقا في المدخل .

وأما رباعيات البخاري في الجامع الصحيح فلانجد من اهتم بها او الف فيها او جمعها الا النادر القليل على عكس الامر في الثلاثيات وقد ذكر حافظ

(21) الحديث السادس عشر من الجامع الصحيح ج = 1 ص 102 و 103 شرح

الكرهاني .

(22) فتح الباري لابن حجر - اجطي مساند على الرحمان في اعلى اساند على بن

سليمان للجمعوي الدمناتي ص 20 .

المشرف محمد بن جعفر الكتاني في الرسالة المستطرفة (23) ان لابي عبد الله البخاري رباعيات وقد شرحها (بعضهم) في كتاب سماه «درر الدراري في شرح رباعيات البخاري» ولم يذكر مؤلفه بل عبر عنه «وقد شرحها بعضهم» بينما نجد حاجي خليفة في «كشف الظنون» (24) ذكر الكتاب نفسه وسماه «درر الدراري في شرح رباعيات البخاري» او الدرر الدراري» وسمى مؤلفه وهو احمد بن محمد الشامي الشافعي .

وقد اورد صاحب كشف الظنون بان اولها هو : «الحمد لله الذي نزل احسن الحديث ، استخرجها من الجامع الصحيح مستمداً من شرح الكرماني وتذقيح الزركشي مع زيادات» .
كما ذكر صاحب كشف الظنون رباعيات اخرى غير هذا الكتاب ولكنها لاتتعلق بكتاب الجامع الصحيح .

كما نجد كتاباً آخر في رباعيات البخاري جاء في «فهرس الفهارس» (25) وهو كتاب «جناح الجناح بالعوالي الصحاح» ويسمى ايضا «لوامسح اللآلي في الاربعين العوالي» (26) للبرهان ابراهيم الكوراني المدني المجدد على رأس المائة الحادية عشرة للهجرة .

«وقد خرج الكوراني في جناح الجناح اربعين حديثاً من العوالي الصحاح وقدمها بمقدمات في شرف اصحاب الحديث وطرق حديث من حفظ على امتي اربعين حديثاً ثم اتى بالعشاريات السيوطية ، باسناده الموصل الى السيوطي ، ثم ترجمة البخاري وتفرع اسانيده اليه من طريق ابي ذر والمعمرين وغيرهم ثم ساق حديثاً من رباعيات البخاري ، ثم اتى بخاتمة اشتملت على تنبيهات ساق فيها ثلاثيات البخاري ثم اتى

(23) الرسالة المستطرفة ص 98 .

(24) كشف الظنون ج 1 ص 832 .

(25) فهرس الفهارس ج = 1 ص 229 و ص 372 .

(26) ذكر هذا الكتاب ايضا البجيموي الدمشقي في كتابه اجلي مسند علي الرحمان

في اعلى اسناد علي بن سليمان ص 20 .

بعشرين حديثا مسلسلا بالصوفية وهو في نحو ثلاثة كراريس مفيد جدا لطالب هذا الشأن اتمه سنة 1083» (27) ، وقد ذكر عمنا الشيخ عبد الحي الكتاني ان بمكتبته نسخة من هذا الكتاب المخطوط اخذت من النسخة التي ارسلها المؤلف هدية الى الشيخين عبد الرحمن ومحمد ابني عبد القادر الفاسي ، الا انني لما بحثت عنها بين كتبه بالمكتبة العامة لم اعثر لها على اثر للأسف الشديد (28) .

ونجد للبخاري ايضا نوعا من الرباعيات في رواية الحديث ملحقه بالثلاثيات وهي حديثان فقط :

وذلك ان يروي الحديث تابعي عن تابعي عن الصحابي او صحابي عن صحابي فيحسب التابعيان او الصحابيان في درجة واحدة فهما اثنان في حكم الواحد فاذا كان منهم راو اخذ عنه المؤلف يقال فيه رباعي في حكم الثلاثي ، وهذا السند يكون مشتقلا على اربعة رجال منهم صحابيان او تابعيان فيكون من حيث العدد رباعيا ومن حيث النوع ملحقا بالثلاثي . ولانجد غير عذين الكتابين المذكورين آنفا فيما يتعلق برباعيات البخاري من حيث السند اي كتاب آخر يتعلق بها او يهتم بها على ان الكتابين المذكورين نفسيهما لم نعتز على اي واحد منهما بمكتباتنا العامة او الخاصة بعد طول التتبع والتنقيب .

هذا وقد تصديت بالبحث والاستقصاء والتتبع والدراسة الجامع الصحيح فاستخرجت رباعيات البخاري من حيث الرواية ، وقمت بجمعها وترتيبها كي يكون لي فضل جمعها ونشرها واستخراجها والتصنيف فيها ، لذا اطلت قراءة البخاري ودراسته وتكررت تلك القراءة والمراجعة ، وكلما اعدت القراءة والمراجعة اكتشفت رباعية جديدة ، ولذلك رجعت الى نسخ كثيرة من الجامع الصحيح قديمها وحديثها في اثناء دراستي الطويلة للجامع ، غير انني اعتدت في تجريد الرباعيات وتخرجها على شرح

(27) فهرس الفهارس ج = 1 ص 229 و 230 .

(28) المصدر السابق .

الكرماني لصحيح البخاري وهو المسمى «الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري» .

(2) رباعيات البخاري في المتن :

المقصود برباعيات البخاري في المتن او المتن الرباعية هي الاحاديث التي تضمنت متونها اي قول النبي صلى الله عليه وسلم اربعة امور سواء كانت اوامر او نواهي او حالات او اوصافا او اشراطا او خلالا او تعودا او دعوات او غيرها وذلك بان يشتمل كل متن على اربعة امور منها مما يجعله حديثا رباعيا من حيث المتن من دون القفات الى سنده او عدد رواته وانما المدار في اعتباره رباعيا على متنه :

وللتوضيح نورد امثلة منها :

حديث البخاري (29) (كتاب الايمان) باب علامة المنافق . قال : حدثنا قبيصة بن عقبة : قال حدثنا سفيان عن الاعمش عن عبد الله ابن مرة عن مسروق عن عبد الله بن عمرو ، ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اربع من كن فيه ، كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت خصلة من النفاق حتى يدعها » .

(1) اذا اؤتمن خان . (2) واذا حدث كذب . (3) واذا عاهد غدر . (4) واذا خاصم فجر .

فهذا الحديث الشريف تضمن متنه : اي قول النبي صلى الله عليه وسلم صفات المنافق وقد جعلها النبي صلى الله عليه وسلم اربعة خصال وهي : خيانة الامانة والكذب والغدر والفجور ، وان من كانت فيه واحدة من تلك الخصال كان منافقا واتصف بصفات النفاق حتى يتركها .

ونجد في «كتاب العلم» في كتاب رفع العلم وظهور الجهل ، حديثا رباعيا في متنه قال البخاري :

(29) الحديث الثالث والثلاثون من الجامع الصحيح ج 1 ص 147 و 150 و 151

و 152 .

حدثنا عمران بن ميسرة قال حدثنا عبد الوارث عن ابي القياح عن
انس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان من اشراط الساعة :
(1) ان يرفع العثم . (2) ويثبت الجهل . (3) ويشرب الخمر .
(4) ويظهر الزنا .

فهذا الحديث (30) الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
تضمن ذكر اشراط الساعة وهي اربعة كما بينها وعددها رسول الله صلى
الله عليه وسلم : رفع العثم ، وثبوت الجهل ، وشرب الخمر ، وظهور الزنا
ثم نجد مثلاً آخر لهذه الرباعيات في (كتاب مواقيت الصلاة) (بسماب
منيبين اليه) قال البخاري : (31) .

حدثنا قتيبة بن سعيد قال : حدثنا عباد هو ابن عباد ، عن ابي جمرة
عن ابن عباس ، قال : قدم وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالوا : انا من هذا الحي من ربيعة ولسنا نصل اليك الا في الشهر
الحرام فمرنا بشيء نأخذه عنك وذدعو اليه من وراءنا فقال :

أمركم بأربع وإنهاكم عن أربع :

(1) الايمان بالله ثم فديها لهم شهادة ان لا اله الا الله واني رسول
الله .

(2) واقامة الصلاة .

(3) وإيتاء الزكاة .

(4) وان تؤدوا الي خمس ما غنمتم

وأنهى عن :

(1) الحباء . (2) والحنتم . (3) والمقير . (4) والنقير .

(30) الحديث الثامن والسبعون من الجامع الصحيح ج 2 ص 59 و 60 ، ومن لطائفه

انه جمع بين التربعين فهو رباعي السند . المتن .

(31) الحديث الخمسةة وواحد ج 4 ص 176 و 177 .

فهذا الحديث اشتمل مقتنه على اوامر اربع ونواهي اربع وهي :
الايمان واقامة الصلاة وايقاء الزكاة واداء خمس الغنائم ، امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم وفد عبد القيس ان يؤتوها ونهاهم عن امور
اربعة عليهم ان يتجنبوها ومن مزايا هذا الحديث ان التصريح وارد فيه
بلفظ اربع مما يؤكد رباعيته .

ونورد مثالا رابعا لهذه الرباعيات وهو حديث (32) في كتاب فضل
الصلاة (باب مسجد بيت المقدس) .

قال البخاري :

«حدثنا ابو الوالد حدثنا شعبة عن عبد الملك ، سمعت قزعة مولى زياد
قال : سمعت ابا سعيد الخدري رضي الله عنه يحدث باربع عن النبي صلى
الله عليه فاعجبني واتقنني قال :

- (1) لاتسافر المرأة يومين الامعها زوجها او ذو محرم .
- (2) ولاصوم في يومين : الفطر والاضحى .
- (3) ولاصلاة بعد صلاتين بعد الصبح حتى تطلع الشمس وبعد العصر
حتى تغرب .
- (4) ولاتشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : مسجد الحرام ، والمسجد
الاقصى ومسجدي .

فهذا الحديث تضمن اربعة امور حدث بها ابوسعيد الخدري سمعها
من رسول الله صلى الله عليه وسلم اعجبته وافرحته فحفظها ورواها عنه .
فهذه امثلة اربعة لاحاديث متونها رباعية تضمن الاول منها اربعة
خصال للمنافقين واشتمل الثاني على اشراط الساعة الاربعة وتضمن
الثالث اربعة اوامر ونواه وجهها النبي صلى الله عليه وسلم لوفد عبید
القيس جوابا على سؤالهم .

(32) الحديث السابع والعشرون ومائة وبعد الالف ج 7 ص 17 .

وتضمن المثل الرابع امورا اربعة سمعها ابو سعيد الخدري من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذها عنه ونقلها الى الامة .

عذا ولا نجد فيما نعلم من الكتب التي الفت في رباعيات الامام البخاري والتي لانعرف عنها شيئا عدا اسماء مؤلفيها ، لانجد فيها هذا النوع من الرباعيات المثلثة بمقوت الحديث «فكتاب رباعيات ابي عبد الله البخاري» (33) الذي شرحه احمد بن محمد الشامي الشافعي في كتابه «درر الدراري في شرح رباعيات البخاري» (34) . هذا الكتاب ليس بيسر ايدينا وليس بموجود حتى نطلع عليه ولكننا نستطيع ان نستشف ما جاء فيه وانه يتعلق برباعيات السند من جهتين :

ا - ان الذي ذكره واثبته هو الحافظ محمد بن جعفر الكتاني في الرسالة المستطرفة وقد نص عليه في كتب عوالي المحدثين واثرت كتب الثلاثيات وهي تتعلق بالسند مما يؤكد ان كتاب رباعيات البخاري يتعلق بالنوع الاول من الرباعيات وهي الاسانيد الرباعية .

ب - ويفهم ذلك مما نقله حاجي خليفة في كشف الظنون عن كتاب شرح الرباعيات ، درر الدراري بان اوله هو الحمد لله الذي نزل أحسن الحديث استخرجها اي الرباعيات ، من الجامع الصحيح مستمدا من شرح الكرمانى وتنقيح الزركشي مع زيادات .. (35) كذلك الامر بالنسبة للكتاب الثانى من الرباعيات وهو «جناح الجناح في العوالي الصحاح» للبرهان ابراهيم الكوراني والذي ذكره صاحب فهرس الفهارس (36) وترجم له كما نص عليه علي بن سليمان الدمناتي البجيموي في فهرسته .

نجد هذا الكتاب ايضا يتعلق برباعيات البخاري في السند بدليل عنوانه وتسميته «جناح الجناح في العوالي الصحاح» او في عنوانه الآخر

(33) الرسالة المستطرفة ص 98 .

(34) كشف الظنون ج 1 ص 832 .

(35) المصدر السابق .

(36) فهرس الفهارس ج 1 ص 229 و 372 .

«لوامع اللآلي في الأربعين العوالي» يؤكد ذلك التعليق الذي كتبه الدمناتي المذكور عن الكتاب في سياق كلامه على عوالي البخاري حيث ذكره اثر الكلام على ثلاثيات البخاري وهي تتعلق بالسند ثم اتى بكلام الحافظ ابن حجر عن عوالي البخاري ودرجاتها الى التساعيات .

قال الدمناتي في فهرسته (37) .

«ثم برسالة الشيخ الامير قال :

اطول اسانيده التساعيات قال محمد بن عبد الرحمان الكزيري اعلى ما للبخاري بصحيحه الثلاثيات كما سبق ، جمعها ابن حجر فبلغت اثنتين وعشرين حديثا ، ثم الرباعيات جمعها الشيخ ابراهيم الملا فبلغت اربعين حديثا ضمها للثلاثيات سماه «لوامع اللآلي في الأربعين العوالي» ثم التساعيات وهي انزل ماعنده»

وواضح من كلام الدمناتي البجموي ان كتاب الكوراني يتعلق برباعيات السند خاصة وقد اردف كلامه عن الكوراني بذلك آخر الثلاثيات بسنده الى الملا ابراهيم الى البخاري ثم فكر حديثا رباعيا للكوراني وهو حديث انس (38) وبذلك يتأكد اننا اول من كتب عن رباعيات البخاري من حيث المتن او ما سميذاه بالمتون الرباعية في صحيح البخاري واول من استخرجها من تضايف الجامع الصحيح من دون ان نرجع الى كتاب فيها اعتمادا على جهودنا .

ومن لطائف هذا النوع من الرباعيات نجد احاديث جمعت بين النوعين اي رباعية السند والتمن في آن واحد منها حديث البخاري (39) في كتاب بدء الخلق «باب وفد عبد القيس» :

حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن زيد ، عن ابي جمرة : سمعت ابن

(37) اجلي مساند على الرحمان في اعلى اساند علي بن سليمان للبجموي الدمناتي

ص 20 .

(38) المصدر السابق .

(39) الحديث السبعون بعد الالف الرابعة ج 16 ص 189 .

عباس يقول : قدم وفد عبد القيس على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا :
يا رسول الله ان هذا الحي من ربيعة وقد حالت بيننا وبينك كفار مضر
فلسنا نخلص اليك الا في حرام فمردنا بأشياء نأخذ بها وندعو اليها من
وراءنا قال :

أمركم بأربع وإنهاكم عن أربع :

الايمان بالله شهادة ان لا اله الا الله وعقد واحدة ، وإقام الصلاة ،
وايتاء الزكاة ، وان تؤدوا لله خمس ماغنمتم .

وانهاكم عن «الدباء والتقير والختم والمزفت» .

فهذا الحديث الشريف رواه أربعة من الصحابة عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، كما هو واضح من سند الحديث كما ان متن الحديث
تضمن أربعة أوامر وأربع نواه صادرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
لوفد عبد القيس عندما سألوه ان يأمرهم بأشياء يأخذونها عنه ويدعون
اليها عشيرتهم فهو حديث رباعي السند والمتن .

ويوجد من بين الاحاديث الرباعية المتون أحاديث من هذا النوع سنشير
اليها عند النص على الرباعيات بالهامش .

هذا وقد تتبعنا بالبحث والدرس والاستقصاء كتب الصحيح وأبوابه
باحثا منقبا عن الاحاديث الرباعية المتون فاستخرجتها ورتبتها فبلغت
واحدا وأربعين حديثا .

3) رباعيات البخاري في وصيته :

هذه الرباعيات لاتعلق بصحيح البخاري فهي ليست رباعيات سند
ولا رباعيات متن اذ لاصلة لها باسناد الصحيح ولا بمتونه .

وهي صنف ثالث من الرباعيات استخرجناه من وصية الامام البخاري
لطالبي الحديث وقد سميناها رباعيات البخاري في وصيته الادبية اعتمادا
على نص الوصية نفسها والتي جاء فيها اسم الرباعيات تصريحاً كما قال
البخاري بالحرف :

«وكل هذه الرباعيات لا تتم له الا بأربع ...»

ورباعات البخاري في وصيته عبارة عن جملة من المعاني تتعلق بطلب الحديث وهي شروط رباعية شرط الامام البخاري توفر طالب الحديث عليها والتزامه بها ليصير محدثا كاملا .

وهذه الوصية الرباعية تعتبر وثيقة علمية منهجية فريدة اشتملت على شروط المحدث وما ينبغي ان يلم به ويعلمه ليصبح من المحدثين الكبار .

ونظرا لاهميتها العلمية والمنهجية فسنورد نص الوصية بأكملها بالاسناد الكامل لروايتها المعتمدين وعلى رأسهم القاضي عياض ثم نفضل الكلام عنها ونناقش ماورد فيها بعد ان نقوم بتخريج رباعياتها وتقسيمها.

ذلك ان أغلب المحدثين والذين ارخوا للامام البخاري وكتبوا عن جامعه الصحيح وآثاره اسندوا له هذه الوصية الرباعية التي تضمنت شروطا وامورا لابد منها - للمحدث ليصير محدثا كاملا .

ونجد اقدم من نقل هذه الوصية ورواها باسنادها الى الامام البخاري القاضي عياض وهو من أهل القرن السادس الهجري (476-544) وذلك في فهرسته المسماة «الغنية» (40) في اثناء ترجمته للقاضي ابي بكر محمد ابن عبد الله المعافري المعروف بابن العربي ، ذكرها ضمن مروياته وما اخذ عنه ، وعن القاضي عياض سنورد نص الوصية لكونه اقدم من رواها بالسند المتصل الى الامام البخاري فيما نعلم . وروى هذه الوصية الرباعية وذكرها غير القاضي عياض كثيرون من مختلف العصور في القديم والحديث نذكر منهم :

المقري «في نفح الطيب» (41) والحافظ السيوطي باسناده في «تدريب الراوي في معرفة آداب طالب الحديث» (42) كما اوردها الامام القسطلاني

(40) الغنية فهرست القاضي عياض ص 30 الى 33 ، وهو مخطوط توجد نسخة

منه بمكتبتي .

(41) نفح الطيب للمقري ج = 2 ص 576 و 577 .

(42) تدريب الراوي للسيوطي ص 182 و 183 .

في «ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (43) في «لطيفته» واخر
الفصل الثالث من كتابه اسندها بالرواية «عن الحافظ نجم الدين ابن
الحافظ تقي الدين ابي المعالي محب الدين المكيان الى ابي المظفر محمد بن
احمد بن حامد بن الفضل البخاري ... الخ .

وعن هؤلاء نقل كثير من المعاصرين ممن درسوا البخاري وقرءوا
له اوكتبوا عنه سواء في «الختمات» او التراجم او الفهارس او الرسائل
العلمية نذكر منهم :

جدنا الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني فقد ذكرها في «خمة
البخاري (44) واسندها في قوله :

وعجيب ما اوتيه من دقيق الاستنباط كما اجاب من طلب علم الحديث
بان المحدث لا يكمل في محدثته الا ان كتبها من مثلها كمثلها في مثلها
عند مثلها بمثلها عن مثلها لمثلها ، ولا يتم ذلك الا بمثلها مع مثلها فيهن
عليه حيثنذ مثلها ويبقى بمثلها فإذا صبر اكرمه الله بمثلها في الدنيا
واثابه في الآخرة بمثلها . والاصل في هذا الرمز مارويناه بسندنا السي
كتب الاسيوطي عن مولانا الوالد عن ابي اسحاق ابراهيم السقا القاهري
عن المعتمد السيد تعيلب عن الجوهرى عن عبد الله بن سالم البصري عن
محمد بن علاء الدين البابلي عن سالم السنهوري عن الشمس العقمي عن
الحافظ السيوطي في شرح التقريب رواه بسنده الى ابن المظفر محمد
ابن احمد بن حامد البخاري الخ .

وذكرها الشيخ محمد زكريا الكانوهلوي الهندي في كتابه مقدمة لامع
الدراري على جامع البخاري (45) .

وروى الكانوهلوي الهندي نفسه عن السيوطي بيتا في الفيتة عن

(43) ارشاد الساري للقسطلاني ج 1 ص 18 و 19 .

(44) خمة البخاري للشيخ محمد بن الكبير الكتاني ص 94 و 96 .

(45) مقمة لامع الدراري للشيخ محمد زكريا الكانوهلوي ص 7 .

وصية الامام البخاري الرباعية : (46)

وللبخاري رباعيات في طالب الحديث نيرات (47) ، كما اوردها الدكتور الحسيني عبد المجيد هاشم في اطروحته التي سماها الامام البخاري محدثا وفقهيا (48) فقد ذكرها بنصها دون تعليق عليها ، كما نجد للشيخ محمد بن المدني بن الحسين رسالة حول وصية البخاري الرباعية سماها «الفوائد الابداعية من فوائد وصية البخاري الرباعية» وهي مخطوطة لم تطبع (49) .

ونقل نص الوصية كما رواها (القاضي عياض) في «الغنية» (50) بسنده المتصل قال في اثناء ترجمته للقاضي ابي بكر المعافري بعد ما ذكر ماقرأ عليه من الكتب واجازته له بجميع مروياته وعن الاماكن التي لقيه بها وخاصة اشبيلية وقرطبة ثم قال :

... «ومما كتبت عنه - ابن العربي - مما حدثني به سماعا عنه بلفظه ، نا ابي محمد هبة الله بن محمد الاكفاني ناعبد العزيز بن احمد الكتاذي الحمشقي الحافظ نا ابو عصمة نوح بن نصر الفرغاني ، قال : سمعت ابا المظفر عبد الله بن محمد بن عبد الله بن مت الخرجي و ابا بكر محمد بن عيسى البخاري فكانا يقولان :

سمعنا ابا ذر عمار بن محمد بن محمد بن مخلد التميمي يقول : لما عزل ابيو العباس الوليد بن زيد المهداني عن قضاء الري ورد بخارى سنة ثمان عشر وثلاثمائة لتجديد مودة كانت بينه وبين ابي الفضل البلعمي فنزل

(46) المصدر السابق نفسه

(47) الغنية السيوطي .

(48) الامام البخاري محدثا وفقهيا ص 157 و 158 .

(49) هذه الرسالة حدثني عنها ولد المؤلف المرحوم سيدي عبد الكريم ، ووجدت

له رغبتني في الاطلاع عليها غير انه غفل يمهلني الى ان توفي رحمه الله دون ان يتمكن من الاطلاع عليها .

(50) الغنية ص 30 الى 33 .

في جوارنا فحملني اليه معلني ابو ابراهيم اسحاق بن ابراهيم الخليلي
وقال له :

أسألك ان تحدث هذا الصبي ، كما سمعت من مشايخك قال : ما لي
سماع ، قال : فكيف وانت (فقيه) فما هذا ؟ قال : لاني لما بلغت مبلغ
الرجال تأقت نفسي الى معرفة الحديث و (دراية) الاخبار وسماعها .

فقصدت «محمد بن اسماعيل البخاري» ببخارى صاحب التاريخ
والمنظور اليه في معرفة الحديث واعلمته بمرادي وسأله الاقبال على
ذلك فقال لي : يا بني لا تدخل في أمر الا بعد معرفة حدوده والوقوف على
(مقداره) فقلت له : عرفني رحمك الله حدود ما قصدتك له ومقادير ما
سألتك عنه فقال لي :

أعلم ان الرجل لا يصير محدثا كاملا في حديثه الا بعد ان يكتب
اربعا مع اربع مثل اربع في اربع عند اربع يارب على اربع عند اربع
لاربس .

وكل هذه الرباعيات لا تقم له الا بأربع مع أربع فاذا تمت له هان
عليه أربع وابتلى بأربع فاذا صبر على ذلك اكرمه الله بأربع واثابه في
الآخرة بأربع قلت له : فسر لي ما ذكرت من أحوال هذه الرباعيات من قلب
(صافي) بشرح (كافي) وبيان (شافعي) طلبا للاجر الوافي فقال :

نعم اما الاربعة التي تحتاج الى كتبها هي : اخبار الرسول عليه
السلام وشرائعه والصحابه ومقاديرهم والتابعين واحوالهم وسائر العلماء
وتواريخهم مع اسماء رجالهم وكناهم وامكنتهم وازمنتهم كالتحميد مع
الخطب والدعاء مع (الرسول) والبسملة مع السورة والتكبير مع
المصلوات مثل المستدعات والمرسلات والموقوفات والمقطوعات في صغره وفي
ادراكه و (في كهولته) وفي شبابه عند فراغه وعند شغله ، وعند فقره وعند
غناه بالجمال والتبحار والبلدان ، والبراري ، على الاحجار والاصداف
والجلود والاكتاف ، الى الوقت الذي يمكنه نقلها الى الاوراق عن هو فوقه
وعمن هو مثله وعمن هو دونه وعن كتاب ابيه يتيقن انه يخط ابيه دون
غيره . لوجه الله تعالى طالبا لرضاته والعمل بما وافق كتاب الله تعالى

منها . ونشرها بين طالبها ومحبيها والتأليف في احياء ذكره بعده .

ثم لا تقيم له هذه الاشياء الا بأربع من كسب العبد اعني معرفة الكتابة واللغة و (الضبط) والنحو مع اربع هي من اعطاء الله تعالى اعني القدرة والصحة والحرص والحفظ ، فاذا تمت له هذه الاشياء هان عليه اربع : الاحل والولد والمال) والوطن وابتلى بأربع : بشماتة الاعداء وملامة الاصدقاء و (طعن) الجهلاء وحسد العلماء ، فاذا صبر على هذه المحن اكرمه الله في الدنيا بأربع : بعز القناعة وبهيبة النفس و (حياة الابد) واثابه في الآخرة بأربع : بالشفاعة لمن اراد من اخوانه وبظل العرش يوم لا ظل الا ظله ويسقي من اراد من حوض نبيه (صلى الله عليه وسلم) ، و(بجوار) النبيئين في اعلى عليين في الجنة . فقد اعلمتك يا بني مجمل جميع ما كنت سمعته من مشايخي متعرفا في هذا الباب فاقبل الآن على ما قصدتني له او د ع .

قال : فها لني قوله ، فسكتت متفكرا واطرقت (نادما) فلما رأى ذلك مني قال : (والا تظن) احتمال هذه المشاق كلها فعملك بالفقه (السذي) يمكنك تعلمه وأنت في بيتك قار ساكن لا تحتاج الى بعد الاسفار ووطء الديار وركوب البحار وهو مع ذا ثمرة الحديث وليس ثواب الفقيه (دون) ثواب المحدث في الآخرة ولا عزه بأقل من عز المحدث .
قال : فلما سمعت ذلك نقض عزمي في طلب الحديث واقبلت على دراسة الفقه وتعلمه الى أن صرت فيه (فقيها) متقدما .

ووقفت منه على معرفة ما امكنتني من تعلمه بتوفيق الله تعالى ومنته (فلذلك) لم يكن عندي ما أمله على هذا الصبي يا أبا ابراهيم ، فقال له ابو ابراهيم : ان هذا الحديث (الواحد) الذي لا يوجد عند غيرك خير للصبي من ألف حديث يجده عند غيرك .

عذا هو نص ربايعات البخاري في وصيته كما وردت في غنية القاضي عياض مع مقابلتها بالذص الوارد في ارشاد القسطلاني رحمه الله .

4) تخريج ربايعات البخاري من وصيته وتقسيمها :

من قراءة وصية البخاري ومراجعتها ودراستها نجد القاضي عياض

يرويه عن شيخه ابن العربي عن ابي العباس الوليد بن ابراهيم بن زيد الهمداني وهو الذي حدث بهذا الحديث سماعا وتلقيا من الامام البخاري وهو يتضمن ربايعات الامام وشروطه لطالب الحديث ليصير محدثا كاملا.

ونجد هذا النص يحتوي على ست عشرة رباعية ، منها تشتمل على اربعة امور ويبتدىء النص بعد الاسناد وذكر ورود ابي العباس الوليد بخاري سنة ثمان عشرة وثلاثمائة ومرافقة ابي ذر التميمي لأبي الخثلي عند زيارته لأبي العباس الوليد وسؤاله اياه ان يحدث «الصبي» يعني أبا ذر التميمي - بسماعه من شيوخه وجواب الوليد لأبي ابراهيم انه قصد الامام البخاري . عندما يبلغ مبلغ الرجال وتأقت نفسه الى معرفة الحديث ورواية الاخبار ، زائرا له ومقطعا وسائلا عما تأقت نفسه الى معرفته ثم جواب الامام البخاري له :

بأن شرط الدخول في أي أمر من الامور : هو معرفة حدوده والوقوف على مقداره . وسؤال الوليد الامام البخاري عن بيان حدود ومقادير ما سأل عنه من معرفة الحديث ورواية الاخبار .

وجواب البخاري له : بأن الرجل لا يصير محدثا كاملا في حديثه حتى تتوفر فيه شروط وأمر تضمنتها الوصية والتي نخرجها حسب ترتيبها ومبداها في النص مفصلة مرتبة :

(1) ان يكتب اربعاً :

اخبار الرسول صلى الله عليه وسلم مع شرائعه .

اخبار الصحابة ومقاديرهم .

اخبار التابعين واحوالهم .

اخبار سائر العلماء وتواريخهم .

(2) مع أربع :

مع اسماء رجالهم ، وكذاهم ، وامكنتهم ، وازمنتهم .

(3) كأربع :

كالتحميد مع الخطب . والدعاء مع الرسل ، والبسطة مع السورة

والتكبير مع الصلوات .

(4) مثل أربع :

مثل المستندات والمراسلات والموقوفات والمقطوعات .

(5) في أربع :

في صغره وفي ادراكه ، وفي شبابه وفي كهولته .

(6) عند أربع :

عند شغلته ، وعند فراغه ، وعند فقره ، وعند غناه .

(7) بأربع :

بالجبال ، والبحار والبلدان والبراري .

(8) على أربع :

على الاحجار والاصداف والجلود ، والاكتاف .

(9) عن أربع :

عن هو فوقه وعن هو مثله ، وعن هو دونه ، وعن كتاب ابيه
يتيقن انه بخط ابيه .

(10) لأربع :

لوجه الله تعالى طالبا لمرضاته .

والعمل بما وافق كتاب الله تعالى منها .

ونشرها بين طلابيها ومحبيها .

والتأليف في احياء ذكره بعد موته .

(11) ثم لا تتم له هذه الاشياء الا :

بأربع من كسب العبد وسعيه .

معرفة الكتابة ، واللغة ، والصرف ، والنحو .

(12) مع أربع من عطاء الله تعالى :

القدرة ، والصحة ، والحرص ، والحفظ .

(13) فاذا تمت له :

هان عليه أربع . الاهل ، والولد ، والمال ، والوطن .

- 14) وابقل بآربع :
شماعة الإءاء ، ومالمة الإصءقاء ، وطقن الجهلاء ، وءسء العلماء .
- 15) فاذا صبر عليها .
أكرمه الله في الدنيا بأربع :
عز التناعة ، وهيبة النفس ، ولذة العلم ، وءياة الأء .
- 16) وأثابه في الآخرة بأربع :
بالشفاعة لمن أراد من أخوانه ، وبظل العرش يوم لا ظل إلا ظله .
وبسقى من أراد من حوض نبيه صلى الله عليه وسلم . وبجار
النبيين في أعلى عليين في الجنة .
- وبعد أن إجاب الامام البخاري سائله عما أراد وتفصيله لشروط
المءء وما يلزمه معرفته والامام به أخبره بأن عليه أن يقبل كل ما سمعه
منه إذا أراد أن يصير مءءا والا فليترك هذا الأمر .
- ولكن الأمر حال سائل البخاري فاطرق متفكرا متأدبا مستعظما ما
ذكره الامام الذي شعر بذلك فخيره أن ثقل عليه الأمر ولم يطقه أن يقبل على
تعلم الفقه فذلك أهون بكثير وأقل مشقة خصوصا وهو لا يكلف سفرا
ولا رحلة ولا ركوب بحر واغتراب وأنه ثمرة الحديث وليس ثوابه وعزه
بأقل من ثواب المءء وعزه .

تعليق على الوصية الرباعية

وهذه الوصية الأدبية الجليلة ، وثيقة ذات شأن لقيمتها التاريخية والعلمية .

فمن الناحية التاريخية

- 1 - تضع بين أيدي الدارسين للامام البخاري مزيد إضاءة كاشفة عن ملامح شخصيته وخطواته على الطريق طالبا للمعلم ، ومعلما .
- 2 - وتضيف الى المعروف عن كتابه (الصحيح) فكرة واضحة عما أتيح لهذا الكتاب من جهود فذة وآفاق رحبة ، وإصالة زاسخة ، وأدراك عميق لجلال موضوعه وحرمة الامانة الصعبة التي احتملها جامع الصحيح .

ومن الناحية العلمية :

3 - تأخذ هذه الوثيقة النادرة مكانها بين جهود الرواد من علماء السلف لتأصيل منهج علوم الحديث على ضوابطه الدقيقة الصارمة التي عرفها التاريخ العلمي للمدرسة الإسلامية في ضبط الرواية النقلية وتوثيق الاسناد والشروط التي كان ينبغي أن تتوفر للطلاب الالتحاق بهذه المدرسة.

4 - ومنها نستبين معالم الطريق التي عبدها جيل الرواد والخطبة المنهجية التي تركها الامام البخاري وصية للأجيال من العلماء الذين تتابعوا على حمل الأمانة ووصلوا بعلوم الحديث الى المستوى الذي يعده التاريخ العلمي من مفاخر الأمة الإسلامية وأجل عطائها لأصول المنهج . وأترك لاستاذي الجليل الرحالي الفاروق بيان القيمة العلمية لهذه الوصية فقد كتب معلقا عليها قال (51) : *

« انه من أيدع اللطائف وأفضل الطرائف أن تكون الرباعيات التي رواها غير واحد من مشاهير المحدثين عند الكلام على القصد والاهبال على علم الحديث الشريف - أن تكون هذه الرباعيات من عصارة أفكار الامام البخاري وتجربة حياته وتراث مدرسته رحمه الله فهي أقوم وصية وأعظم نصيحة لمن أراد أن يبلغ في هذا الفن العظيم مبلغا لا يقل عن درجة الذين يتمتعون بالمهارة في روايته ودرايته كل على حسب قدرته واستطاعته ، وهذه القصة التي تعالَمها الناس من قبل و من بعد صحيحة وثابتة من أولها الى آخرها ليس فيها ما يذكر شرعا ولا ما يعاب طبعاً ، ولذلك فانه لا يخدشها ما نقله الشيخ نجا الأبياري في حاشيته مقدمة القسطلاني عن العلامة السخاوي عن شيخه الحافظ ابن حجر انه قال :

(51) هذا التعليق كتبه استاذنا الرحالي لصاحب الرسالة مشاركة منه وتقديراً .

(*) التعليق الذي أشار اليه صاحب المقال هو نفسه ورد علينا من كاتبه الاستاذ الجليل الشيخ الفاروق الرحالي معنوناً بـ : «تعليق حول رباعيات الامام البخاري» وبما أن صاحب المقال أثبت نصه ، ارتأينا أن نقتصر على المقارنة بين ما ورد علينا من فضيلة الشيخ المذكور ، وما أثبتته صاحب المقال - المجلة -

منذ قرأت هذه القصة وقلبي نافر من صحتها مستبعد لثبوتها تلوح
امارة الوضع عليها والتلفيق فيها وانه لا يظن ان محمد بن اسماعيل رحمه
الله يقول . هذا . واما قوله ان هذا الحديث الواحد الذي لا يوجد عند
غيرك خير من الف حديث نجده عند غيرك ، فكذب لامزيد عليه له .
فلذا لا يؤثر هذا الكلام في صحتها ولا يقدر به جرده في ثبوتها .
لعمري وجوه :

أحدها : ان هذه الرباعيات قصارى أمرها ان تحمل المجد على
العمل بما فيها اذا اراد هذا المجد ان يكون قدوة يشار بالبنان اليه ، وتعد
الخصائص عليه وليس المعنى في النظر الصحيح انها تنفر عن طلب الحديث
والاتصال به . بل هي على العكس من ذلك ، تحرض على انتهاج طريقة
مجدية وتبشر القوم بنهاية طيبة .

وثانيها : ان هذه النصيحة التي قدمها الامام البخاري رحمه الله لمن
سألها وطلبها هي ترجمة صريحة - لما حفلت به حياته من عناية وشباط
في اكتساب الحديث والاشتغال بمادته والبحث عن اهم قاداته ورجاله
وخاصة أولئك الذين اشتهروا بجمع روايته والمحافظة على سلوكه
وسيرته أو عرفوا بالرغبة في رفع اعلامه واعلاء اسناده والتفقه في احكامه
ومعانيه وقد يضطر طالب الحديث الى ملاطفة من هو مثله ومصانعة من
هو دونه ، فيغال ب نفسه بنفسه ، ويحملها على الاعتراف بفضله ، حتى
لا تفوت الفرصة وتضيق المتعة بسبب الترفع والتكبر الذي لا يناسب مقام
العلماء عامة ومقام المحدثين خاصة ، والذي يستدرك من الاخذ عن علماء
زمانه ، لا يحصل غالبا على شيء من امانيه - ولما احاط بها من خوض
الامتحانات وصوغ المؤامرات التي تنصب على كل من بني بنيائه وابرز
نباهته في علم يضر صاحبه ويقصر جاهله وذلك من أعظم المذن وأكبر
النعم ، الا ان كل نابه مقصود ، وكل ذي نعمة محسود ، وهذا بحول الله
من جملة الامارات التي تجعل حديث الرباعيات ، شيئا واقعا وادخلا في
نطاق النصيحة المقصودة والصراحة المفروضة .

وثالثها ان ائمة الحديث سلموا هذه الرباعيات بل ايدوها وأكدها

فهذا الامام القسطلاني رحمه الله بعد أن ذكرها في مقدمة شرحه ارشاد الساري قال اشرها «وقد قال الخطيب البغدادي الحافظ :

ان علم الحديث لا يعلق الا بمن قصر نفسه عليه ولم يضم غيره من الفنون اليه ، وقال اماننا الشافعي رحمه الله تعالى : أتريد أن تجمع بين الفقه والحديث هيهات ا ع »

فكلام الامام الشافعي والخطيب البغدادي رحمهما الله موافق لرباعيات الامام البخاري من حيث التحضيض على الاتجاه الى علم الحديث، والقسمير عن ساق الجد في طلبه .

وأما القول بأن هذا الحديث الواحد الذي يوجد عندك خير من ألف حديث يتوجد عند غيرك فلا ينبغي أن يحمل على الكذب والزور بل على المبالغة في الكثرة ، كما يقول الانسان وقد كرر المجهي اليك - جئتك ألف مرة - والمبالغة باب من ابواب البلاغة ، فمثل هذا الكلام يقبل ويحمل على قصد المبالغة ، والسياق يعضده ويشهد له ، وحمل كلام الناس على محمل حسن خير من حمله على شيء لا يليق به .

على أن ذلك ليس من قول الامام البخاري صاحب الرباعيات وانما هو من كلام الراوي وأيضا فلنا أن نقول : اذا أخذت هذه الرباعيات بمعناها الصحيح اي من حيث انها تهيم مدرسة اسلامية ناهضة ، وعلماء مبرزين في شؤون الحديث، نجد ان اطلاق الحديث الواحد عليها وهو الذي يقابل بعدد من الاحاديث مجرد اطلاق ظاهري وشكلي ، وقد تقرر أن العبرة بالمعاني لا بالألفاظ ، وبذلك ان شاء الله ينتفي الاعتراض ، فانك اذا نفذت حكم الرباعيات امكنك بمعونة الله أن تعرف أو تحفظ ألف ألف حديث مثلا ، والوقوف على هذا العدد الكبير خير من الوقوف على ألف حديث مثلا تأمل .

وبعد ، فان هذه الرباعيات لازمة لكل من أراد أن يسلك طريقا قاصدا لهذا العلم الذبوي الشريف لزوم الحمدة للخطبة والبسطة للسورة ، والدعاء للوسيلة ، والتكبير للصلاة ، واذا صبرت على ما يلقاك من

المحسن في سبيل تحقيق هذه المعاني الرفيعة اكرمك الله في الدنيا بعز
القناعة وهيبة النفس ونذرة العلم وحياة السعادة ، وأثابك في الآخرة
بالشفاعة لمن أردت ، وبالسقي من الحوض لمن اخترت ، وبظل العرش يوم
لا ظل الا ظله وبمجاورة النبيئين في الجنة وذلك فضله .

وعيهات ان يكون المحدث راسيا وراسخا في هذا العلم وهو لا يتوفر
على المعاني المطوية في رباعيته ، ولا يخدمه بعزم وحزم طول حياته ، ولا
يرحل الى اقتطاف أنواره ولا يسرع الى اقتطاف أزهاره ولا يصبر على
المنغصات التي تنزل بساحته .

نسأل الله العظيم أن يجمع لنا ولكم بين التنسيق والتوفيق ، وأن
يهيئنا للطريق اليسرى ويهب لنا السعادة والحسنى ، والله سبحانه
اعلى وأعلم وأرحم وأكرم .